صلح

كانت[1] أنباء تستفيض بها الأحاديث بعد أن كانت سرا يهمس بها بعض الناس إلى بعض . ثم أخذت تتردد على الألسنة وتطوف فى الأندية حتى استقرت فى قلوب الناس وجعلوا بينها وبين الأزمة التى أثارها الوزراء سببا .

ولعلك قد فهمت عنى ما أريد أن أقول ، فلم يكد يثير رئيس الوزراء أزمته من باريس أو من فرسايل حتى أخذت الصحف تشير وتلمح إلى خلاف بينه وبين موظف من كبار الموظفين ، جعل سلطانه على الحكم محدودا ، يحتاج إلى شىء من الإطلاق والسعة . وأشارت الصحف إلى أن رئيس الوزراء قد كره هذا التضييق وأنكره وأراد أن يزيله ويمحوه إما بالاستقالة التى تريحه من السلطان الواسع والضيق معا . وإما بالبقاء فى الحكم على أن يكون الحكم خالصا له من دون غيره من الموظفين الذين لا تجعل لهم مناصبهم يدا فى الحكم ولا سبيلا على الحاكمين .

---

(١) ١٦ - ٩ - ١٩٣٣

وعاد رئيس الوزراء بعد أن امتلأت الأرض بأنباء الاستقالة وأسبابها الرسمية التي جهر بها الرئيس ، وأسبابها الخفية التى نبأت بها الصحف ورواة الأحاديث . فلم يكد يذهب إلى حفلة الشاى التى أقيمت له حتى لاحظ الصحفيون والرواة ، والذين يحبون التعليل والتأويل أن موظفا من كبار الموظفين قد غاب عن هذا الحفل ، وأخذوا جميعا يقربون الآماد والمسافات بين الأزمة وبين ذلك الغياب . ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من زعم أن هذا الموظف الكبير لم يغب عن الحفل وحده ، وإنما غاب عن الإسكندرية كلها ، وتركها خالصة للمحتفلين . ومنهم من زعم أنه لم يترك المدينة ، وإنما قضى ساعة الحفل عند أحد الوزراء الذى لم يستطع أن يشهد الحفل لأنه كان مريضا .

وأخذ الناس يذهبون مذاهب فى التأويل والتفسير تقوى الصلة بين أزمة رئيس الوزراء وغيبة الموظف الكبير عن حفل الشاى أو تضعفها ولكن مرور الأيام القليلة التى جاءت بعد الحفل لم يدع شكا عند الناس فى أن هذا الموظف الكبير ليس بريئا كل البراءة من هذا التعقيد الذى اعترض حياة الوزارة القائمة فزادها عسرا إلى عسر ، وحرجا إلى حرج .

فقد كان الناس يعلمون أن هذا الموظف الكبير(١) يلقى رئيس الوزراء فيكثر من لقائه ، يزوره فى داره ، ويزوره فى ديوانه ،

(١) هو محمد زكى الأبراشى باشا ناظر الخاصة الملكية . انتهز فرصة مرض صدق باشا وغيابه الطويل وأخذ يحضر جلسات مجلس الوزراء ويصدر الأوامر إلى الوزراء .

ويتحدث إليه فيطيل الحديث ، وربما حضر بعض الجلسات لمجلس الوزراء ولكنهم لاحظوا منذ عودة الرئيس أن هذه الزيارة قد انقطعت أو انقطع الحديث عنها والعلم بها . وأنفق رئيس الوزراء جهدا غير قليل ليقنع الناس بأن المرض وحده هو الذى حمله على الاستقالة ، ولكن الناس لم يقتنعوا وهم معذورون ، فإن الأصحاء الأقوياء إذا اضطرتهم الظروف إلى الاستقالة واعتزال الحكم تكلفوا المرض وانتحلوه فكيف برئيس الوزراء إذا كان مريضا حقا أو بارئا حقا من المرض ، ولكن عهده بالمرض ليس بعيدا .

لم يقتنع الناس إذن بأن المرض وحده هو الذى أثار هذه الأزمة ولا سيما وعهد المرض بعيد يرجع إلى أشهر ثمانية ماضية ، ولم يجد الناس بدا من أن يستمعوا لقول الصحافيين ورواة الأحاديث من أن خلافا بين رئيس الوزراء وموظف من كبار الموظفين كان له فى هذه الأزمة أثر غير قليل .

وجاءت الأهرام فأكدت رأى الناس وثبتته فى نفوسهم تثبيتا حين روت لهم بلهجة القاطع الجازم أن رئيس الوزراء لما هَمَّ بالاستقالة كتب إلى مصر يرشح خليفته ، ويقسم أمور الدولة شطرين : له أحدهما فى البرلمان ، ولخليفته أحدهما الآخر فى الدواوين . وزادت الأهرام على ذلك أن كتاب رئيس الوزراء هذا لم يرض بعض الجهات فنشأت الأزمة وعقدت تعقيدا .

وكان المنتظر أن يكذب رئيس الوزراء أو غير رئيس الوزراء من الجهات الرسمية حديث الأهرام هذا تكذيبا قاطعا يزيل الشك ويمحو

اللبس ويبين للناس أن رئيس الوزراء أعلم بتقاليد الدستور ، وأحرص عليها من أن يتورط فى مثل هذا الخطأ ولكن هذا الحديث لم يكذب تكذيبا صريحا ، بل لم تستطع صحف الوزارة أن تنكره إلا على استحياء شديد ، وظلت كلمة الأهرام عالية ، وكلمة الصحف الوزارية خافتة لا يكاد يسمعها أحد . فصدق الناس حديث الأهرام وهم مضطرون إلى أن يصدقوه ما دام الذين يعنيهم أمره لم يكذبوه تكذيبا صريحا على كثرة ما يلقون إلى الصحف من فنون التكذيب .

وجاءت المقطم أمس فأكدت كل هذه الأنباء تأكيدا لا يسمح بالشك فيها حين تحدثت إلينا عن هذا الاجتماع الضيق الضئيل الذى عقد فى منزل وزير الداخلية أول امس ، والذى دعى إليه رئيس الوزراء ونائبه السابق ، وهذا الموظف الكبير فتساقوا الشاى ممزوجا بحلو العتاب أو مره ، ثم صفت بينهم الأمور ، وانصرفوا بعد ذلك وهم يشكرون لمضيفهم سعيه الخير الحميد . فقد كان هناك إذن كدر غسله الشاى ، وشر أصلحه العتاب ، واختلاف محاه أو خففه هذا الاجتماع . وإذن فلم تكذب الصحف ، ولم يتجن المتحدثون فى الأندية حين زعموا أن الخلاف بين رئيس الوزراء وهذا الموظف الكبير كان من أسباب الأزمة ومثيراتها . إن لم يكن سببها ومثيرها الوحيد .

وإذن فلم يكن الناس مخطئين أيضا حين كانوا يعتقدون أن عدول رئيس الوزراء عن الاستقالة لا يلغى الأزمة وإنما يؤجلها ، لأن إلغاء الأزمة إنما يكون بإلغاء أسبابها ، ولم تلغ هذه الأسباب .

لم يكن الناس مخطئين لأن سعى وزير الداخلية فى هذا الصلح وإجابة رئيس الوزراء إليه ، وما كان من تساقى الشاى والعتاب دليل واضح على أن الذين شربوا الشاى والعتاب أول أمس كانوا هم أيضا مقتنعين بأن الخلاف بين رئيس الوزراء وهذا الموظف الكبير سيظل شجى فى حلق الوزارة يجب أن ينتزع ، وشوكة فى جنب الوزارة يجب أن تسل ، وإلا فلن يستقيم للوزارة أمر ، ولن تعتدل أمامها الطريق . ولذلك حاولوا أول أمس أن ينتزعوا هذا الشجى ويستلوا هذه الشوكة . أفتراهم قد وفقوا إلى ما كانوا يحاولون ؟ أم تراهم قد وفقوا إلى شىء دون ما كانوا يحاولون ؟ أفتراهم قد نزعوا الشجى نزعا ، ومحوا آثاره محوا ؟ أم تراهم قد اجتهدوا فى أن يخفضوا من حدته ويلطفوا من شدته ويجعلوه بحيث لا يمنع من مرور الشاى فى الحلق ولو ممزوجا بالعتاب . أما الوزاريون فسيقولون إن الجو بين رئيس الوزراء وهذا الموظف الكبير لم يكن فى يوم من الأيام أصفى مما هو الآن .

وليس فى ذلك شىء من الغرابة فلم تكن الوزارة فى يوم من الأيام أقوى مما كانت يوم همّ رئيس الوزارة بالاستقالة ، ولن تكون الوزارة فى يوم من الأيام أقوى منها يوم يرفع رئيس الوزراء استقالته إلى حضرة صاحب الجلالة الملك .

كذلك قال الوزاريون وكذلك سيقول الوزاريون ، فلا تسمع لهم إذن حين يزعمون لك أن الشاى أول أمس قد نزع هذا الشجى من حلق الوزارة نزعا ، وصفى كل شىء من حولها تصفية لا كدر فيها

ولا غبار . ولا تسمع لهم واسمع لقول الشاعر القديم فإنه أصدق تصويرا للموقف وأدق تعبيرا عن حقيقته . وقد أثبتت سياستنا المصرية وسياسة غيرنا من البلاد أن مثل هذا الخلاف لا يمحى إلا بأن يعتزل أحد المختلفين ، وإنما يخفف ويهون ويستر أمره على الناس لتجرى الأمور فى صورة مقبولة فى ظاهر الحال كما قال الشاعر القديم

أرينى سلاحى لا أبالك إننى أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات الصدور كما هيا

ونحن نتمنى صادقين أن يصفو الجو بين المختلفين ، وأن يكون الشاى الذى تساقوه يوم الخميس مطهرا للقلوب من آثار الحفيظة والموجدة ولكنا نتمنى مع ذلك أن يكون هذا الصلح معينا لا على أن تستقيم أمور الوزارة وحدها ، فأمور الوزارة عندنا فى المنزلة الثانية أو الثالثة ، بل على أن تستقيم أمور مصر ، فأمور مصر عندنا أجل وأعظم من أمور الوزارة ومَن تختلف أو تتفق معه من الموظفين .

نعم نحن نتمنى صادقين أن يكون هذا الصلح مريحا لرئيس الوزراء فيفرغ لأزمة المصريين ليعالجها بكفايته البارعة فيصد المصارف عن ثروة المصريين ، ويكف يد الدولة عن هذه الأرض التى تريد أن تبيعها بعد أيام لأن أهلها عجزوا عن تأدية الضرائب ، ويعلن إلى الدول الأجنبية فى حزم الواثق المطمئن أن مصر لن تؤدى دينها وفوائده إلا ورَقا . ويرد إلى المصريين الاطمئنان على أنهم آمنون على أنفسهم ودمائهم ، وعلى أموالهم ومرافقهم . نتمنى هذا كله صادقين ونذكر المختصين الذين أذن الله لهم بالصلح يوم الخميس ، بأن الصلح

جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا . وهم يعلمون حق العلم أن الحلال فى السياسة المصرية بيّن ، والحرام فى السياسة المصرية بيّن ، كما أنهم يعلمون حق العلم أن الصلح والخصام بين الأفراد لا يغيران من سياسة الأمم شيئا ، وإنما الذى يحدث الأزمات ويعقدها وينتهى بها حتما إلى إسقاط الوزارات ، هو ما لا يأذن الله به ، ولا تأذن به السياسة الصحيحة الصالحة من تحليل الحرام ، وتحريم الحلال .